وثيقة الدزدار وقضية البراق

لاحد الباحثين

لما جاءت اللجنة الدولية لتدرس قضية البراق الشريف وقدّم سماحة الحاج امين افندي الحسيني وثائقه الرسمية جاهر بعض المعاكسين بشكهم في صحة وثيقة ترجع الى زمن الحكومة المصرية . فعندئذ طلب اليّ البعض من الاصدقاء ان استكشف هذه الوثيقة من الوجهة التاريخية فقط فجئت الان البي الطلب

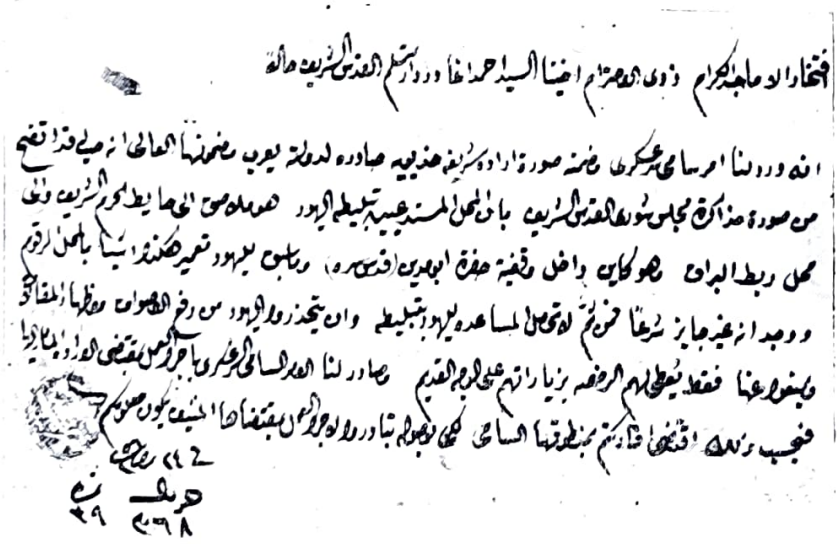

الشكل الاول : المرسوم الاداري الذي يمنع اليهود عن تبليط المبكى ويحذرهم من رفع الاصوات واظهار المقالات في الصلاة وهو الوثيقة الدزدارية موضوع هذا المقال

وثيقة سماحة الحاج امين افندي قطعة من الورق الصكوكي القديم يبلغ طولها ٢٧ سنتيمتراً ولا يتجاوز عرضها ال١٤ وهذا نصها : افتخار الاماجد الكرام ذوى الاحترام اخينا السيد احمد اغا دزدار متسلم القدس الشريف حالاً انه ورد لنا امر سامى سر

عسكرى مضمنه صورة اراده شريفه خديويه صادره لدولته يعرب مضمونها العالى انه حيث قد اتضح من صورة مذاكرة مجلس شورى القدس الشريف بان المحل المستدعيين تبليطه اليهود هو ملاصق الى حايط الحرم الشريف والى محل ربط البراق وهو كاين داخل وقفية حضرة ابو مدين[1] (قدس سره) وما سبق لليهود تعمير هكذا اشيا بالمحل المرقوم ووجد انه غير جايز شرعاً فمن ثم لا تحصل المساعده لليهود بتبليطه وان يتحذروا اليهود من رفع الاصوات واظهار المقالات و يمنعوا عنها فقط يعطى لهم الرخصه بزياراتهم على الوجه القديم وصادر لنا الامر السامى السر عسكرى باجرا العمل بمقتضى الاراده المشار اليها فبحسب ذلك اقتضى افادتكم بمنطوقها السامى لكى بوصوله تبادروا لاجرا العمل بمقتضاها المنيف يكون معلومكم

في ٢٤ را سنة ٢٥٦ الختم محمد شريف

جرنال ٣٦٨ نمره ٣٩

أصلية اذن ام مزورة ؟ نقول ان جميع ما اطلعنا عليه من المفاوضات الرسمية التي ترجع الى عهد الحكومة المصرية في هذه البلاد وجميع ما نعرفه من مراسلات عبدالله باشا ومحمد باشا ورؤوف باشا وغيرهم من باشاوات سوريه في مستهل القرن الماضي مكتوب على نوع من الورق الصكوكي القوي الذي يشابه ورق الحجج الرسمية التي كانت تصدر من محاكم لبنان وسورية في الربع الاخير من القرن الماضي غير انهُ اقل بياضاً منها واكثر اصفراراً . ويظهر من اوراق بكركي وقنصلية بريطانية في بيروت وغيرهما من المراكز الرسمية ان استعمال الورق الصقيل الابيض — اثر جديد وما يشابهه — لم يشع في المفاوضات الرسمية الادارية الا بعد جلاء الحكومة المصرية عن هذه البلاد . فاذا صح قولنا هذا وهو صحيح على ما نعلم يكون ورق الوثيقة التي نحن

(١) بفتح الميم وتسكين الدال . هو شعيب ابن الحسين الاندلسي ولد في قطنيانا في اسبانيا وتوفي سنة ٥٩٤ هـ. ودفن بالعبّاد

بصددها الان دليلاً على اصليتها . وكذلك حجمها فانهُ يوافق حجوم الوثائق التي هي من نوعها وزمانها . فانك لو فحصت الباقي من الوثائق الادارية التي تتضمن مفاوضات

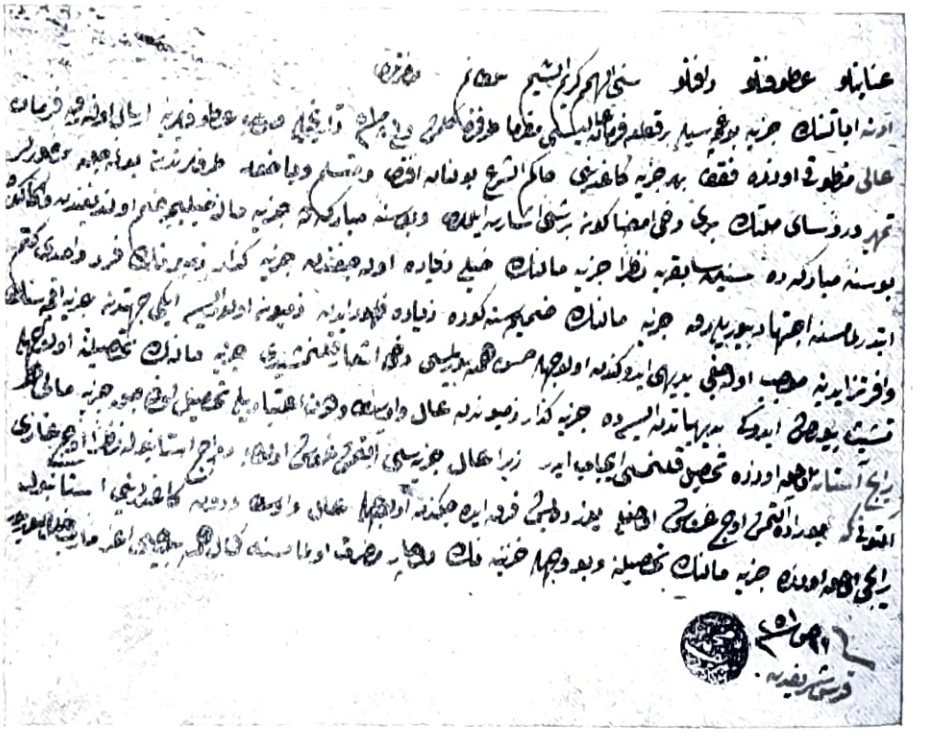

الشكل الثاني : مرسوم اخر من محمد شريف باشا ايضاً وهو لا يزال محفوظاً بمكتبة الجامعة الاميركية في بيروت . اطلب مجموعة هذه الجامعة تحت تاريخ ١١ صفر سنة ١٢٥١ هـ.

الحكومة المصرية في هذه البلاد لوجدت طوله يتراوح بين الـ ٢٠ والـ ٤٠ سنتيمتراً وعرضه بين الـ ١٢ والـ ٢٠ ولا يختلف خطها عن خطوط تلك الايام فانه من نوع الخط الرقعي الذي شاع استعماله في دواوين ذلك العصر والذي يعرف لدى ارباب الخطوط اليوم بالخط العلامي نسبة الى المرحوم حنا علام[1]

(١) اطلب نموذجاً من هذا الخط في كتاب معرض الخطوط للآباء اليسوعيين وفي الصفحة الاولى . قابل ايضاً بما ورد من النماذج في هذه الرسالة . وانتبه تماماً الى تعليق الالف واللام والالف واللام الف والواو والالف والى كتابة الميم النهائية وغير ذلك من العلامات الفارقة

ومما يؤيد اصلية هذه الوثيقة ايضاً عدم وجود الهوامش العريضة الى اليمين والى اليسار فان القسم الاكبر من الرسائل الادارية الخصوصية المصرية التي عرفناها

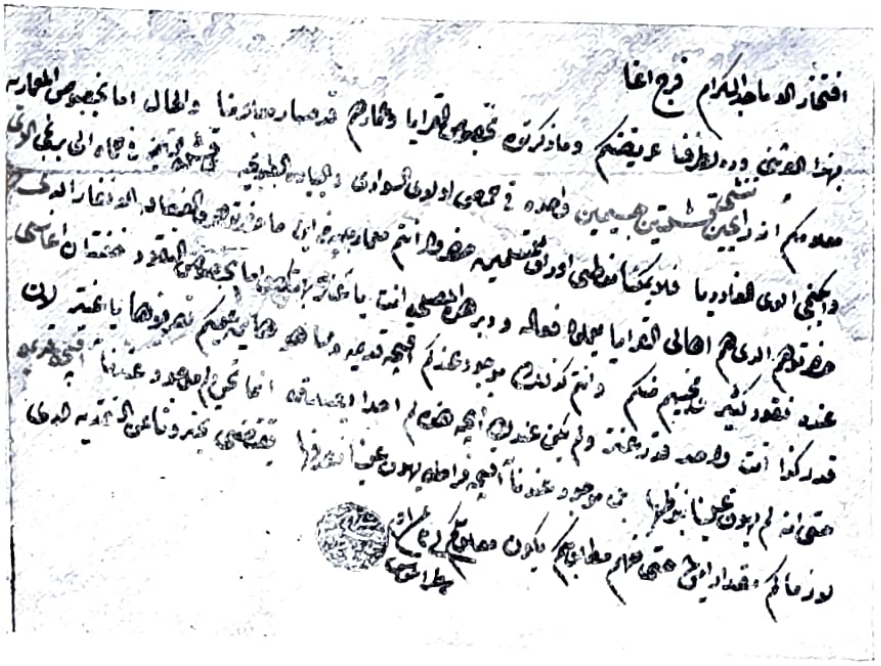

الشكل الثالث : من ابرهيم باشا الى متسلم حماه بالخط العلالي ايضاً . ١٦X٢٩ س. من الورق الصكوكي القديم وهو لا يزال محفوظاً في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت

يكاد يكون خالياً من هذه الهوامش ولعل السبب في ذلك ان ارباب الدواوين كانوا يخافون من الزيادة والتنزيل والتحشية فيضطرون الى قطع الورق بعد الفراغ من الكتابة لا قبلهُ . وقد يمكن ان يكون السبب في ذلك الاقتصاد ايضاً اما الرسائل الادارية المهمة قبل دخول المصريين الى هذه البلاد وبعد جلائهم عنها فانها لا تكاد تخلو من الهوامش العريضة الى اليمين وكذلك مسألة اتجاه السطور في بعض الرسائل الادارية الخصوصية فانك لو تفحصت الباقي من هذه الرسائل لوجدت فرقاً ظاهراً بين عادة الكتاب في زمن الحكومة المصرية وطريقة زملائهم في زمن الحكومة التركية . فسطور القسم الاكبر من اوراق عبدالله باشا مثلاً منحنية

الشكل الرابع : من محمد باشا والي حلب الى أعيان جبل لبنان وهو مرسوم عمومي متوّج بختم الابالة الكبير .
اطلب مجموعة الدكتور اسد رستم الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد
علي باشا ج ١ ص ١١٧ ـ ١١٨ .

اكثر من ٣٠ درجة الى فوق حالة كون سطور القسم الاكبر من الاوراق المصرية الادارية تكاد تكون افقية في وضعيتها . ولذا فاننا نرى في استقامة السطور بالوثيقة الدزدارية دليلاً على اصليتها ايضاً

ولعل الخوف من التحشية هو الذي دفع محمد شريف باشا وغيره من الحكام في ذلك العصر الى بصم ختومهم في اول فراغ يقع بعد انتهاء الرسالة . فانك لو نظرت الى الوثيقة التي نحن بصددها لرايت ختم محمد باشا ملاصقاً تماماً للكلمة «معلومكم» . وهو يغطي الفراغ بين السطر الاخير والذي قبله . وهذا ولا بد لنا من التصريح الان ان هذا الكلام لا ينطبق على الفرمانات الخديوية والبيولردات السر عسكرية وغيرها من المراسيم العمومية المهمة فان محمد علي باشا وابراهيم باشا وغيرهما من باشاوات ذلك العصر في سورية كانوا جميعهم يتوجون «خطاباتهم العمومية» بختومهم الكبيرة كما في الشكل الرابع فلا يستعملون الصغير منها ابداً وكان بعضهم يستعمل الطغراء الخصوصية في اخر الرسائل المهمة فيقع الختم الصغير بعيداً عن اخر النص — انظر شكل ٥ وقبل الفراغ من موضوع الختوم لا بد لنا من القول ان ختم محمد شريف باشا في وثيقة الدزدار مطابق لما نعرفه من ختومه في سائر الوثائق الرسمية من حيث الخط والحجم والصنع والتزويق والتاريخ ايضاً (راجع ش ١) وحجم ختمه في هذه الوثيقة يوافق حجم ختوم غيره من باشاوات ذلك العصر — حوالي الـ ١٣ ميليمتراً

هذا ولم نرَ في اسلوب هذه الوثيقة وطريقة كتابتها ما يجعلنا نشك في صحة اصليتها . كان عبد الله باشا وغيره من باشاوات سورية قبل دخول المصريين يعنونون مراسيمهم الادارية «الخصوصية»[1] هكذا : «افتخار الاماجد والاعيان متسلمنا

(١) اصطلاح فني كان يقصد به المراسيم الادارية التي كانت تصدر من ديوان الباشا الى المتسلم فقط او الى القاضي وحدهُ او المفتي وغيرهم من رجال الادارة في ذلك العصر . وضده المرسوم او الخطاب العمومي كما في رقم ١ و٢ من المجلد الاول من مجموعة الدكتور رستم وكما في الشكل الرابع والخامس من هذه الرسالة

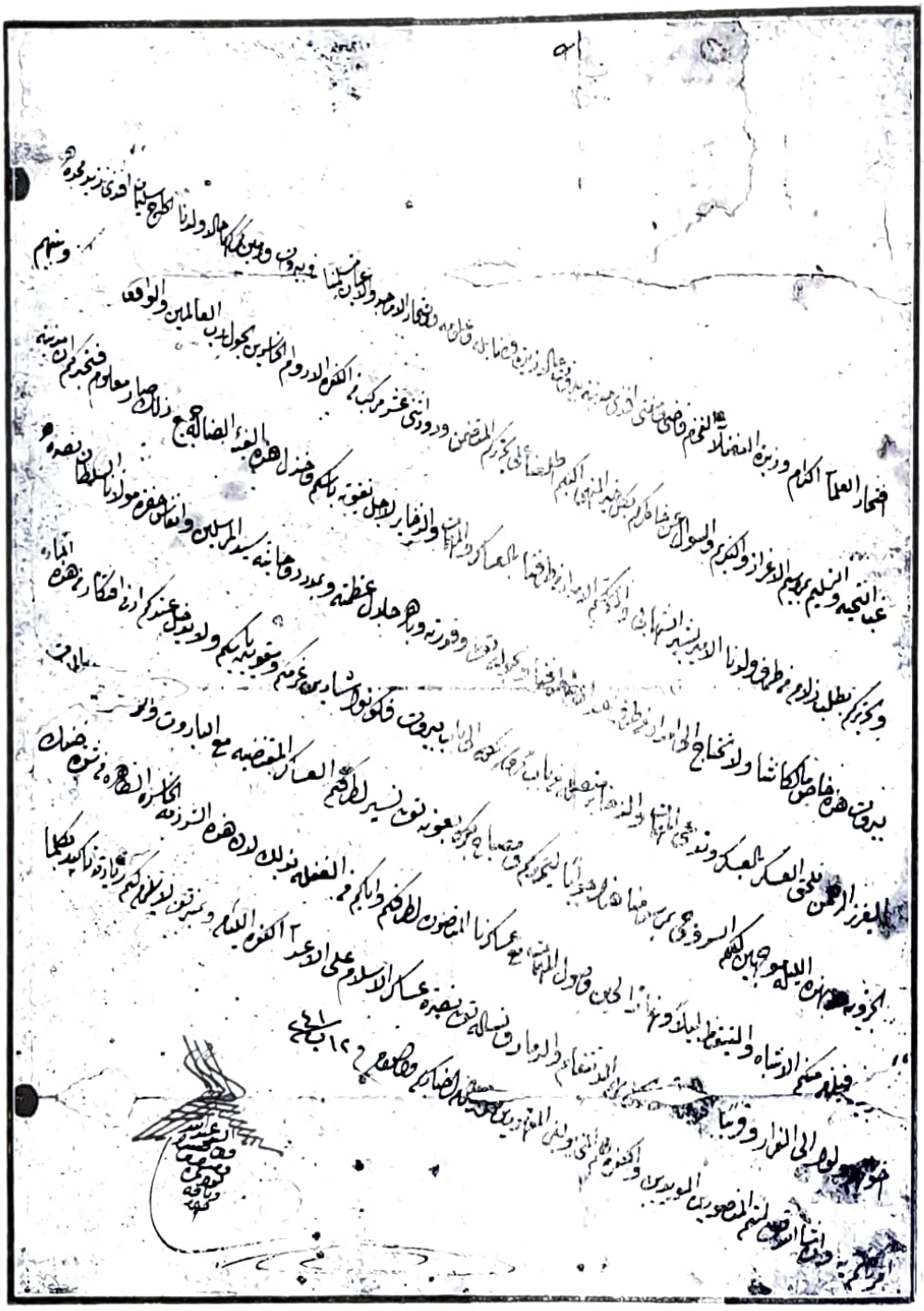

الشكل الخامس : خطاب عمومي من عبدالله باشا الى اعيان بيروت وهو مذيل بطغرائه الخصوصية وختمه الصغير . اطلب الاصل في مجموعة الجامعة الاميركية في بيروت تحت تاريخ ٢ ارجب سنة ١٢٤١ هـ. وراجع مجلة الكشاف

في ... حالاً زيد مجده » ويحيون هكذا : « بعد التحيـة والتسليم بمراسم الاعزاز والتكريم والسوال عن خاطركم بكل خير المنهى اليكم » . ولكن لما دخلت البلاد في حوزة الحكومة المصرية بقيت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٢٤٩ هـ . كما في رقم ٣٥ و٤٢و٤٤ و٦٣ من مجموعة الدكتور رستم . وبعد هذه السنة اخذت الكتّاب تختصر فاكتفت في « الخطابات الخصوصية » بالعنوان وتركت التحية جانباً كما يتضح من الشكل الثاني والثالث والسادس وغيرها ولذا فاننا نرى الاختصار في وثيقة الدزدار

الشكل السادس : مرسوم خصوصي من محمد علي باشا الى الشيخ سليمان عبد الهادي وهو يتعلق باءور الثورة في فلسطين على الحكومة المصرية آنئذٍ . ولا يزال اصله محفوظاً لدى ابراهيم بك القاسم عبد الهادي بنابلس فلسطين

والاكتفاء بالعنوان دون التحية دليلاً اخر على اصليتها وعدم تزويرها . ومن يراجع المعروف من تحارير شريف باشا « الخصوصية » وينعم النظر فيه ويقابله بالباقي من تحارير محمد علي باشا وابراهيم باشا ومحمد منيب افندي وغيرهم يرَ ان محمد شريف باشا كان مولعاً ولعاً زائداً في مفاوضاته مع المتسلمين في البلاد بالعبارة الاتية « افتخار

الاماجد الكرام ذوي الاحترام» . وقلما ابدل هذه الكلمات بغيرها من اصطلاحات ذلك العصر كما في مكاتيب سائر الباشاوات . وبينما نرى ابراهيم باشا وغيره يختم تحاريره الادارية هكذا : « والله يحفظكم — هذا ما لزم افاده الجناب — اعلموا ذلك — وتعتمدوه غاية الاعتماد — وهذا ما لزم اخباركم — وكان الله معكم » وغيرها من العبارات نرى محمد شريف متمسكاً في الغالب بالعبارة « يكون معلومكم » من غير زيادة ولا نقصان

وطريقة تاريخ هذه الوثيقة هي الطريقة المتبعة في جميع اوراق الحكومة المصرية في ذلك العصر كما ابان ذلك بالتفصيل الاستاذ الدكتور رستم في مقدمته للاصول العربية المشار اليها آنفاً[١] . وكذلك الاشارة الى الجرنال والعدد فانها موجودة في القسم الكبير من اوراق محمود نامي بك متسلم بيروت وقتئذٍ كما في الشكل الثامن من هذه الرسالة[٢]

واذا تفحصنا محتويات هذه الوثيقة وغرضها المقصود وجدنا انها توافق في روحها تمام الموافقة ما نعلمه من تاريخ علاقة اليهود بمحل ربط البراق . قال الرحالة روبنسن المشهور الذي زار القدس عام ١٨٣٨ ما نصه : « مباحٌ لليهود ان « يشتروا » حق الدنو من مركز هيكلهم وحق الصلاة والبكاء على خرابه وسقوط (او تبدد) امتهم[٣] وقال المستر فنْ الانكليزي الذي تولى ادارة القنصلية البريطانية في القدس الشريف ما بين سنة ١٨٤٥ وسنة ١٨٦٣ ما محصلهُ . « يدفع الحاخام باشي الى « الافندي » الذي يجاور المبكى ثلاثماية ليرة انكليزية كل سنة بدل الاذن له ولليهود معه ان يصلوا هناك »[٤] ولعل الافندي المشار اليه هنا هو وكيل وقفية ابو مدين كما في الوثيقة التي نحن بصددها . هذا ولا يخفى على القارىء الكريم ما كان يؤديه اليهود من هذا القبيل

---

(١) مجموعة الدكتور رستم ج ١ ص٧–٨ (٢) اطلب مجموعة الجامعة الاميركية في بيروت تحت سنة ١٢٥٤ – ١٢٥٦ هـ .

(٣) Robinson, Ed., Biblical Researches in Palestine etc. (Boston, 1868), I, 237

(٤) James Finn, Stirring Times etc, I, 130.

الى السلطات الوثنية فالمسيحية قبل دخول المسلمين الى هذه البلاد[١]. اما رتّر الالماني الذي عاصر زمن الوثيقة والذي كتب مولفه العظيم عن جغرافية فلسطين حوالي سنة ١٨٤٥ فانه يقول ان قسماً مهماً من مساكن اليهود نفسها ببيت المقدس كان ملك الحرم الشريف فتامل[٢].

ومن يطالع رحلات الفرنجة في هذه البلاد حوالي سنة ١٨٤٠ م. (١٢٥٦ هـ.)

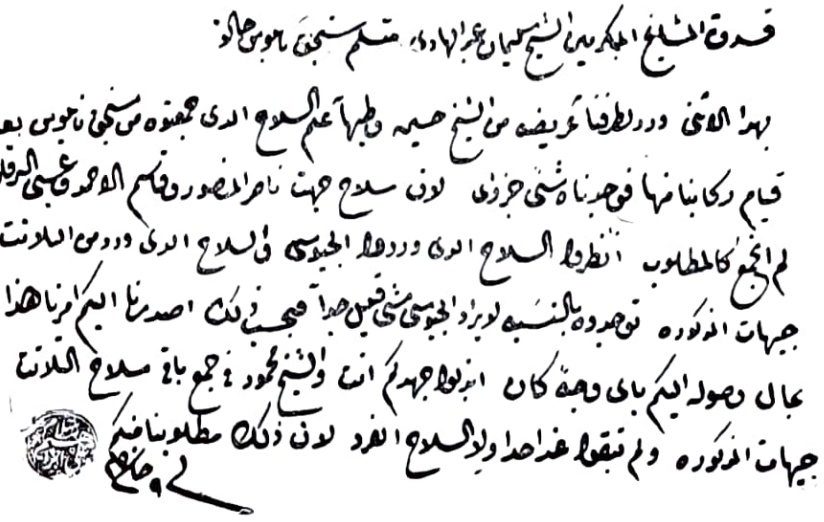

الشكل السابع : جمع السلاح بفلسطين في عهد الحكومة المصرية . من ابراهيم باشا الى الشيخ سليمان عبد الهادي وهو لا يزال محفوظاً لدى ابرهيم بك القاسم بنابلس

يجد ان قسماً مهماً من اليهود آنئذٍ في اوربة واميركة وفلسطين كان ينتظر مجيء المسيح وجمع الشمل كما ورد في بعض الاسفار المقدسة . وكان بعضهم يعلق الامال الكبيرة على كلام دانيال النبي في الاصحاح الثامن من سفره الكريم حيث يقول : «فسمعت قديساً

(١) Münter, der Jüdische Krieg unter Trajan und Hadrian l.c. Hieron, in Zephan c.i. 15. "Et ut ruinam suæ eis flere liceat civitatis, pretio redimunt; ut qui quondam emenant sanguinem Christi, emant lacrymas suas."

(٢) Carl Ritter, (Erdkunde von Asien)The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula (New York, 1866), IV. 191.

يتكلم قال قديس لفلان الذي يتكلم معه الى متى الرؤيا رؤيا المحرقة الدائمة والمعصية المدمرة وحتى متى يجعل القدس والجند مدوسين . فقال لي الى الفين ثلاث مئة مساء وصباح ثم يطهر القدس »

كان بعضهم يعلق الامال الكبيرة على هذه النبوة فيقول ان المراد باليوم فيها السنة وان العدة تبتدىء من سنة ٤٥٦ ق . م . لقوله تعالى « ان سبعين عاماً حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك »[1] فيضيفون اربع سنوات الى التاريخ المسيحي لاجل تصحيحه ويجمعون ٤٥٦ مع ١٨٤٤ (السنة ١٨٤٠ المصححة) فيصير العدد ٢٣٠٠ كما في النبوة المشار اليها آنفاً . وكان هذا البعض من اليهود يعتقد ايضاً انهُ لا بد من تعمير المدينة المقدسة وتجديد بناء الهيكل كما ورد في الاصحاح الحادي

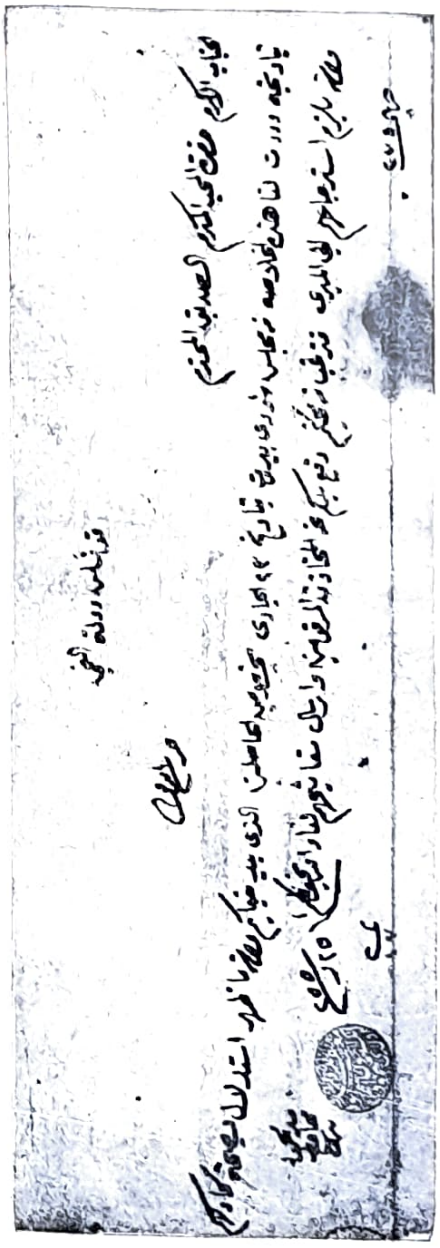

الشكل الثامن من وثائق الحكومة المصرية في بيروت وهو لا يزال محفوظاً حتى الان في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت . قابل تتمير هذه الوثيقة بما ورد من هذا القبيل بالوثيقة الدزدارية .

(١) سفر دانيال ص ٩ ع ٢٤ .

والثلاثين من سفر حزقيال النبي حيث يقول « وآخذكم من بين الامم واجمعكم من جميع الاراضي وآتي بكم الى ارضكم ... ... واسكنكم في المدن وتبنى الاخربة ».

ووافق شيوع هذا المعتقد مجيء السر موسى مونتيفيوري الاراضي المقدسة واكثاره من العطاء كما تنص على ذلك الاصول التاريخية وكما تشهد به المستعمرة التي لا تزال تحمل اسمه حتى هذه الساعة . واذا تذكرنا ان هولاء اليهود عاشوا في عقد من الزمن كثر فيه تسامح الحكومة المصرية وتساهلها ـ ومن لا يقر لمحمد علي باشا بسعة صدره وبعد نظره ورجاحة حلمه ورقة جانبه [٢] ـ نعم اذا تذكرنا كل هذه الامور سهل علينا الاستئناس بامر « التبليط » في الوثيقة الدزدارية التي هي موضوع بحثنا الان واضطررنا ان نرى في موافقة التاريخ لمضمونها دليلاً اخر على اصليتها

فبناءً على ما نعرفهُ من نوع ورقها وقاعدة خطها واسلوب انشائها وطريقة تسميرها وتاريخها وختمها وبناءً على موافقة النصوص التاريخية لها ولاهتمام اليهود باخربة الهيكل نرانا مضطرين ان نرجح اصليتها ترجيحاً علمياً تاماً

(٢) ان ما ظهر حديثاً في كتاب المسيو جورج دوان عن علاقة الباشا بالجزائر وما اثبتهُ حضرة الاستاذ صبري في كتابهِ الامبراطورية المصرية عن تمسك الباشا بسياسة المحافظة على حقوق الامة الاسلامية لا ينقض ما اوردناهُ آنفاً بل بالضد فانهُ يؤيد ما ورد في وثيقة الدزدار من المحافظة على حقوق الاوقاف الاسلامية .